

الفصل الأول

الجزيرة العربية وتاريخها القديم

صفة جزيرة العرب ^(١) :

تشغل الجزيرة العربية الجنوب الغربي لآسيا، وقد سماها أهلها جزيرة؛ لأن الماء يحيط بها من ثلاث جهات: الجهة الجنوبية، والجهة الغربية، والجهة الشرقية، فهي شبه جزيرة لا يوجد في الكرة الأرضية شبه جزيرة تماثلها في المساحة.

ويرى علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا) أنها كانت متصلة بأفريقيا في الزمن القديم ثم فصلها منخفض البحر الأحمر الذي يمتد في غربها، كما يرون أنه كان يغطي جزءاً منها مروج خضراء في العصر الجليدي، وكانت تجرى بها بعض الأنهار، ولا يزال المار بها يشهد عليها أودية جافة عميقة.

ويطل عليها في الجنوب المحيط الهندي، وفي الشرق بحر عمان وخليج العرب، ويحدها من الشمال الغربي فلسطين وسوريا، ومن الشمال الشرقي العراق. وقسمها جغرافيو اليونان والرومان ثلاثة أقسام :

الأول : العربية الصحراوية، ولم يحدوا معالمها، ولكن يفهم من كلامهم أنها بادية الشام، وكانت تقع في شمالها مملكة تدمر التي حكمتها أسرة الزباء المشهورة.

(١) انظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - د / جواد علي ١ / ١٦٣ - ١٨٥ ، وتاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي - د / شوقي ضيف ص ١٧ - ٢١ ، ودراسات في تاريخ العرب - د / مصطفى أبو ضيف أحمد ص ١١ - ١٥ ، وحضارة العرب - د / جوستاف لوبون - ترجمة / عادل زعتر ص ٤٧ - ٥٧ ، وتاريخ العرب قبل الإسلام - د / عبد الحميد حسين حمودة ص ٢٣ - ٢٩ ، والعرب قبل الإسلام لجرجي زيدان ص ٣٧ ، ٣٨ ، وفي تاريخ العرب قبل الإسلام - د / أحمد عبد الحميد الشامي ص ٧ - ٢١ .

الثانى : العربية الصخرية أو الحجرية ، ويعنون بها شبه جزيرة سيناء، والمرتفعات الجبلية المتصلة بها فى شمالى الحجاز، وجنوبى البحر الميت، وهذا القسم هو الذى أقام به النبط مملكتهم، واتخذوا مدينة سلع (بطرا) حاضرة لهم، وامتدت هذه المملكة فى عهد الحارث الرابع أوائل القرن الأول للميلاد إلى دمشق، ولكن استولى عليها الرومان سنة ١٠٦ م.

الثالث : العربية السعيدة، ويعنون بها وسط الجزيرة وجنوبها، ومن المحتمل أن يكون هذا القسم قد دان بالولاء للدول الجنوبية، مثل: معين وسبأ. أما الجغرافيون العرب فيقسمونها خمسة أقسام :

الأول : تهامة : وهى المنطقة الساحلية الضيقة المطلة على البحر الأحمر، وتسمى فى الجنوب باسم تهامة اليمن، وكان العرب القدماء يسمونها القَوْر؛ لانخفاض أرضها، ويحجزها عن داخل شبه الجزيرة سلسلة جبال السَّراة أعظم جبال العرب.

وقد سميت تهامة بذلك الاسم من التَّهَم، يقول ياقوت الحموى (المتوفى ٦٢٦ هـ): " وسميت تهامة لشدة حرها، وركود ريحها وهو من التهم، وهو شدة الحر، وركود الريح، يقال تَهَم الحر: إذا اشتد، ويقال: سميت بذلك لتغير هوائها، يقال: تَهَم الدهن إذا تغير ريحه.

وحكى الزيادى عن الأصمعى قال: التهمة الأرض المنصوبة إلى البحر وكأنه مصدر من تهامة، وقال المبرد: إذا نسبوا إلى تهامة قالوا: رجل تَهَامٍ، بفتح التاء وإسقاط ياء النسبة، كما قالوا: رجل يمانٍ وشَّامٍ إذا نسبوا إلى اليمن والشَّام.

وقال إسماعيل بن حماد: النسبة إلى قدامة تهاميّ وتهام، إذا فتحت التاء لم تشدد الياء، كما قالوا: رجل يمانٍ وشامٍ، قال ابن أحر: [الطويل]:
وأكبادهم كابني سُبَات تفرقوا سُبَاٌ ثُمَّ كانوا منجداً وتهامياً
وألقى التَّهَامِي منهما بلطاته وأخلط هذا لا أيم مكانياً
وقال سيبويه: منهم من يقول: قهاميّ ويمانيّ وشاميّ بالفتح مع التشديد،
وقال زهير: [الطويل]:

يَحْشُونَهَا بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا وَفَتِيَانِ صَدَقَ لَا ضَعْفٌ وَلَا نُكْلُ
تَهَامُونَ نَجْدِيُونَ كَيْدًا وَنُجْعَةً لِكُلِّ أَنَاسٍ مِنْ وَقَائِعِهِمْ سَجْلُ
وأثم الرجل إذا صار إلى قدامة " (١).

ويقول الفيومي (المتوفى ٧٧٠ هـ): " تَهَمَ اللبن واللحم تَهَمًا من باب تعب: تغير وأنتن، وتهم الحر: اشتد مع ركود الريح، ويقال إن تهامة مشتقة من الأول؛ لأنها انخفضت عن نجد فتغيرت ريحها، ويقال من المعنى الثاني؛ لشدة حرها " (٢).

ويتألف إقليم تهامة من عدة قوائم، منها ما يدخل في اليمن، ومنها ما يدخل في الحجاز، ومن مدنه الساحلية الحُدَيْدَة وينبع وجدة.

الثاني: الحجاز: وهو " جبل ممتد حال بين الغور غور قدامة ونجد، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما وقال الأصمعي في

(١) معجم البلدان (قدامة) ٢ / ٤٦٩ .

(٢) المصباح المنير (ت ه م) ١ / ٧٧ .

كتاب (جزيرة العرب) : الحجاز اثنتا عشرة داراً: المدينة، وخيبر، وفدك، وذو المروة، ودار بلي، ودار أشجع، ودار مُزينة، ودار جهينة، ونفر من هوازن، وجُلّ سليم، وجُلّ هلال، وظهر حرّة ليلي، ومما يلي الشام شَغْب وبَدَا، وقال الأصمعي في موضع آخر من كتابه: الحجاز من تخوم صنعاء من العباء وتبالة إلى تخوم الشام؛ وإنما سمي حجازاً؛ لأنه حجز بين قحمة ونجد؛ فمكة قحامية، والمدينة حجازية، والطائف حجازية " (١).

الثالث : نجد : هي الهضبة التي تكون قلب الجزيرة، وأوسع أقاليمها، وتنحدر إلى الشرق حتى تتصل بأرض العروض، ويسمى العرب جزأها المرتفع مما يلي الحجاز العالية، أما جزؤها المنخفض مما يلي العراق فيسمونه السافلة. وبنجد جبالان مشهوران صعبا الارتقاء هما جبلا أجأ وسلمى المنسوبان إلى طي، وبأدنى جبل أجأ مدينة حائل، وعلى سفح جبل سلمى بليدة فيد الواقعة في طريق الحاج العراقي (٢).

الرابع : العروض : " وتشمل بلاد اليمامة والبحرين ومما والاهما " (٣)، وكانت عند ظهور الإسلام عامرة بالقرى؛ مثل : حجر، وكانت حاضرتها، ومثل سدّوس ومنفوحة وبها قبر الأعشى، ويقال إنها كانت موطن قبيلتي طسم وجديس البائدتين، وقد عثر فيها على نقوش سبئية متأخرة.

(1) معجم البلدان لياقوت الحموي (الحجاز) ٣ / ١١٨ .

(2) انظر : دراسات في تاريخ العرب د/ مصطفى أبو ضيف ص ١٤ ، ١٥ ، وتاريخ الأدب العربي : العصر الجاهلي ص ١٩ .

(3) معجم البلدان (العروض) ٦ / ٣٢٠ .

وتمتد البحرين من البصرة إلى عمان، وبها كانت تنزل قبيلة عبد القيس في الجاهلية، وهي تشمل الآن الكويت والأحساء وجزر البحرين وقطر، ومن مدنه القديمة هجر، والقطيف، وكانت تسمى أيضاً الخطّ، وإليها تنسب الرماح الخطية. وفي جنوبي البحرين عمان، ومن مدنها صُحار ودبا، وكان بها سوق مشهورة في الجاهلية^(١).

الخامس : اليمن : ويطلق على كل الجنوب، فيشمل حضرموت، ومهرة، والشَّحْر، وقد يطلق على الزاوية الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية، وهو الإطلاق المشهور الآن. وتتألف اليمن من أقسام طبيعية ثلاثة: ساحل ضيق خصب هو قحمة اليمن، وجبال موازية للساحل هي امتداد سلسلة جبال السراة ثم هضبة تفضى إلى نجد، ورمال الرِّبْع الخالي، وبها كثير من الأودية والسهول والثمار والزروع بسبب أمطار الرياح الموسمية الغزيرة، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم بأنها: ﴿جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ: ١٥].

ويسمى قسمها الشمالى المجاور للحجاز باسم عسير، وكانت تنزله قبيلة بجيلة في الجاهلية، ومن أشهر مدن اليمن زَبِيد وظَفار وصنعاء وعدن ونجران، وتمتد شرقي اليمن حضرموت على ساحل بحر العرب، فإقليم مهرة، والشَّحْر، ومعناه في اللغة الجنوبية: الساحل^(٢).

(١) انظر : تاريخ الأدب العربي : العصر الجاهلى ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) انظر : تاريخ الأدب العربي : العصر الجاهلى ص ٢٠ ، ودراسات في تاريخ العرب ص ١٤ .

" قال الشرقي : إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها، قال ابن عباس: تفرقت العرب فمن تيامن منهم سميت اليمن، ويقال: إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن، وهى أيمن الأرض فسميت بذلك ... والنسبة إليهم يعنى ويمان مخففة، والألف عوض من ياء النسبة فلا تجتمعان، وقال سيويه: وبعضهم يقول: يمان بتشديد الياء قال أمية بن خلف الهذلي: [الوافر] :

يَمَانِيَا يَظَلُّ يَشْدُو كَبِيرًا وَيَنْفُخُ دَائِبًا لَهَبَ الشَّوَاظِ

وقوم يمانية ويمانون، مثل ثمانية وثمانون، وامرأة يمانية أيضاً " ^(١).

الساميون :

تطلق كلمة الساميين على مجموعة من " الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية واليمانية والبابلية - الآشورية، وما انحدر من هذه الشعوب " ^(٢).
وأول من أطلق هذا الاسم على هذه الشعوب هو المستشرق الألماني شلوتسر (Schlozer) في أواخر القرن الثامن عشر (١٧٩٨م) وقد اقتبسه مما ورد في سفر التكوين ^(٣) بصدد أولاد نوح الثلاثة (سام وحام ويافت) والشعوب التي انحدرت من كل ولد منهم؛ وهى تسمية اصطلاحية. بيد أن تقسيم الأمم في سفر التكوين اعتمد على الروابط السياسية والثقافية والجغرافية أكثر من اعتماده على صلات

(1) معجم البلدان (اليمن) ٨ / ٥٠٩ .

(2) فقه اللغة - د / على عبد الواحد وافي ص ٦ .

(3) التوراة - سفر التكوين - الإصحاح العاشر .

القراة والروابط الشعبية، ولذلك جعل العيلاميين واللوديين من أبناء سام؛ لأنهما كانا من رعايا الدولة الآشورية على الرغم من أنه لا توجد بين هذين الشعبين قراة من ناحية كما أنه ليس بينهما وبين الآشوريين قراة من ناحية أخرى، كما جعل الفينيقيين من الشعوب الحامية؛ لتعدد الصلات السياسية والثقافية التي كانت تربطهم بالشعوب الحامية المصرية والبربرية، على الرغم من أنهم أقرب الشعوب إلى العبريين^(١).

وقد قسم علماء اللغات الساميات جغرافيا على قسمين^(٢): شمالي وجنوبي، وقسموا الشمال إلى شعبتين: شرقية وغربية، أما الشرقية فتشتمل على اللغة الأكادية بفرعيها البابلية والآشورية؛ وهذه اللغة اسم جامع أطلقه البابليون (في جنوبي أرض الرافدين) على لغتهم البابلية، وعلى لغة إخوانهم الآشوريين (في شمالي أرض الرافدين)، وتطلق في اصطلاح العلماء المحدثين على مختلف اللهجات البابلية والآشورية. وقد وصلت إلينا في نقوش مختلفة مكتوبة بالخط المسماري على الطين الجفف؛ ومن أهم هذه النقوش النقش الذي دوّن به قانون حمورابي؛ وهو من أقدم

(١) انظر: فقه اللغة - د / علي عبد الواحد وإي ٦ / ٧، وفصول في فقه العربية - د / رمضان عبد التواب ص ٢٥، وعلم اللغة العربية - د / محمود فهمي حجازي ص ١٣٣.

(٢) انظر: تاريخ اللغات السامية - د / إسرائيل ولفنسون ١ - ٢١، ومدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن لموسكاتي وشيتلر، وأولندورف وزودن - ترجمة د / مهدي المخزومي، و د / عبد الحبار المطلي ص ١٤ - ١٧، وفقه اللغة - د / علي عبد الواحد وإي ٦ - ١٠٧، واللهجات العربية الحديثة في اليمن - د / مراد كامل ص ٧ - ٣٣، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ / ٢٢٢ - ٢٢٩، ٢ / ٧٣ - ١٥٥، ودراسات في فقه اللغة - د / صبحي الصالح ص ٤٧ - ٥٨، وفصول في فقه العربية ص ٢٥ - ٣٦، وعلم اللغة العربية - د / محمود فهمي حجازي ص ١٥١ - ١٩٢، وتصدير المعجم الحديث عبري - د / ربحي كمال ص ٥ - ١٠، وفي التطور اللغوي - د / عبد الصبور شاهين ص ٤٤ - ٤٧.

الشرائع الأرضية. و (أكاد) مدينة قديمة في أرض شنعار، وفي مملكة بابل جعلها سرجون الأول عاصمة دولته حوالي عام ٢٤٠٠ ق . م، وهى أول دولة سامية شهدت أرض الرافدين. وقد استعار الأكاديون الرموز المسمارية من السومريين؛ ليتمكنوا من تدوين لغتهم بهذا الخط المسمارى المعروف عند الفرنجة باسم (الرسم ذى الزوايا) وعند العبريين باسم (رسم الأوتاد) لأن أجزائه تشبه المسامير والأوتاد.

وقد ماتت هذه اللغة منذ قديم الزمان ، ولم يبق لنا منها إلا النقوش التى عرفنا منها تاريخ هذا الشعب الأكادى الذى كان على جانب كبير من الحضارة والمدنية. وأما الغربية فتشتمل على اللغتين الكنعانية والآرامية :

أولاً : الكنعانية : وتنقسم إلى كنعانية شمالية وكنعانية جنوبية.

أ - الكنعانية الشمالية : وتمثلها اللغة الأوجاريتية؛ وهى أقدم لغات المجموعة الكنعانية وأشهرها، وقد اكتشفت نقوشها فى عام ١٩٢٩م فى (راس شمرا) على الساحل السورى للبحر المتوسط، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد أخذ العالم الكتابة الأبجدية عن هذه اللغة الأوجاريتية.

ب - الكنعانية الجنوبية : وتشتمل على :

١ - اللغة العبرية : وهى أهم اللهجات الكنعانية على الإطلاق، وقد وصلت إلينا عن طريق العهد القديم الذى يشمل التوراة؛ وهى أسفار موسى الخمسة (التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد،

والثنية) وكتب الأنبياء، والمكتوبات، كمزامير داود، وأمثال سليمان، وغيرها.

ووصلت كذلك عن طريق بعض النقوش واللوحات الصخرية، وأحياناً عن طريق تلاوة اليهود للتوراة، وبعض الأوراد. والمقصود بالعبرية هنا عبرية العهد القديم، وهى تختلف اختلافاً كبيراً عن العبرية الحديثة التى أصبحت لغة الآداب اليهودية المستخدمة.

٢ - **خطابات تل العمارنة** : وهى خطابات أرسل بها أمراء سوريا وفلسطين إلى فراعنة مصر فى ذاك الوقت باللغة الآشورية وبها تعليقات بالكنعانية، وهذه الخطابات ترجع إلى حوالى ١٤٢٥ - ١٣٥٠ ق . م .

٣ - **اللغة الموابية** : وهى لغة الموابيين الذين كانوا من نسل لوط ابن أخى إبراهيم الخليل (عليهما السلام)، وقد عثر على نقش يمثل هذه اللغة هو نقش (ميشع) ملك مواب، وهو عبارة عن نُصْب عثر عليه فى عام ١٨٦٨م فى (ديبان) بأرض مواب القديمة، ويحكى هذا النقش حروب الملك (ميشع) مع ملك إسرائيل المسمى (عُمرى) كما يعدد مآثره على مملكته، ويرجع تاريخ هذا النقش باتفاق معظم الآراء إلى سنة ٨٤٢ ق . م .

٤ - **اللغة الفينيقية** : وصلت إلينا فى عدة نقوش، من بينها نقوش ملوك بيبلوس (Byblos) جبيل الحالية؛ مثل نقش: شافط

بَعْل (من القرن الثالث عشر قبل الميلاد)، وأخيرام (حوالي ١١٠٠ ق . م) وأخيميلك (حوالي ١٠٠٠ ق . م)، وأهم نقش دوّن بهذه اللغة هو نقش الملك (كَلَمو) (حوالي ٩٠٠ ق.م) أحد أمراء (سَمَّالْ)، وقد اكتشف في (تل زُنْجِري) بسوريا. وقد رحلت الفينيقية مع أصحابها خارج الوطن الأصلي حتى استقرت في حوض البحر المتوسط، بيد أنها لم تريح أرضاً ثابتة في الواقع إلا في شمالي أفريقية في نواحي (قرطاجنة)، وتسمى هناك (اللغة البونية) التي قدر لها أن تبقى حتى القرن الخامس بعد الميلاد؛ فعاشت عمراً أطول من عمر أمها الفينيقية الأصلية.

ثانياً : اللغة الآرامية :

كان مهدها الأصلي شبه جزيرة العرب، ثم نزحت إلى بلاد الشام، وانقسمت قسمين كبيرين؛ فذهب قسم إلى الغرب من بلاد الشام، وهنا نشأت الآرامية الغربية، التي تفرع منها لغة اليهود المتأخرين، ولهجة تدمر، ولغة السامريين؛ وهم طائفة من اليهود، لا يؤمنون إلا بالتوراة فقط، وهي أسفار موسى الخمسة، وقد ترجموها إلى لغتهم، غير أنها ترجمة رديئة تتمسك بحرفية النص العبري ولا تختلج من حشو النص بكلمات عبرية غريبة جداً عن الآرامية.

ونقوش صحراء سيناء، التي ترجع إلى الفترة من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي. ولغة النبط، وهي لهجة آرامية كتب بها النبط نقوشهم حتى أواخر القرن الثالث الميلادي، والنبط شعب عربي عاش في أقصى شمالي الجزيرة العربية، وجنوبي بادية الشام.

وذهب القسم الآخر إلى الشرق في بلاد العراق، ونشأ هناك ما يسمى بالآرامية الشرقية التي تفرع منها لغة اليهود في بابل، وهي ما شرحه يهود مدرسة بابل لكتاب المشناة ويسمى هذا الشرح الجمارا، ويتألف منه مع المشناة ما يعرف بتلمود بابل.

واللهجة المنداعية؛ وهي لهجة طائفة (العارفين) المسيحية، التي لا تزال توجد في جنوبي العراق إلى اليوم؛ وهي لهجة آرامية خالصة، لم تتصل كلماتها وتراكيبها بالعبرية أو بغيرها من اللغات الأخرى.

واللغة السريانية، وهي أهم لهجات الآرامية، وقد سمي الآراميون أنفسهم بالسريان بعد اعتناقهم الدين المسيحى؛ لأن الاسم الشعبى القديم صار عيباً يدل على الكفر.

وتنقسم السريانية تبعاً لانقسام الكنيسة المسيحية، إلى سريانية شرقية، وهي سريانية المسيحيين التابعين لتعاليم نسطوريوس، ويسمون بالنسطوريين، وسريانية غربية، وهي سريانية المسيحيين التابعين لتعاليم يعقوب البردعى، ويسمون باليعاقبة. وأما الفرع الجنوبي من اللغات السامية فيشمل :

١ - العربية الشمالية : ولا نكاد نعرف شيئاً عن المراحل التي اجتازتها في عصورها الأولى؛ وهي قسمان: العربية البائدة التي لا يتجاوز أقدم ما وصلنا من نقوشها القرن الأول قبل الميلاد، والعربية الباقية التي لا تجاوز آثارها القرن الخامس بعد الميلاد. والمراد من العربية البائدة عربية النقوش التي بادت لهجاتها قبل الإسلام، وهي التي ظهر على آثارها الطابع الآرامى؛ لبعدها عن المراكز العربية الأصلية بنجد والحجاز.

وأهم اللهجات العربية البائدة ثلاث: الثمودية، والصفوية، واللحيانية.

فالثمودية : هي اللهجة المنسوبة إلى قبائل ثمود التي جاء ذكرها، وذكر

مساكنها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وتاريخ معظم النقوش المدونة بهذه اللهجة يعود إلى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد، وقد دوت بخط جميل أنيق مشتق من (المُسند) يتجه من أعلى إلى أسفل، ولا يثبت على حال واحدة.

والصفوية : هي اللهجة المنسوبة إلى منطقة الصفا؛ فقد عثر على نقوشها في

حرة واقعة بين تلؤل الصفا، وجبل الدروز ويرجع تاريخها إلى القرون الأولى بعد الميلاد، والخط الذي كتبت به قريب من الخط الثمودي، ولا يبعد أن يكون مشتقاً منه إلا أنه شديد التغير والاختلاف فلا يكاد يستقر على حال واحدة، فهو تارة يقرأ من الشمال إلى اليمين، وتارة أخرى يقرأ من اليمين إلى الشمال.

واللحيانية : هي اللهجة المنسوبة إلى قبائل لحيان التي يرجح أنها كانت

تسكن شمالي الحجاز قبل الميلاد، وقد عثر على نقوش كثيرة تذكر أسماء ملوك لحيان، وأغلب الاحتمالات أن تاريخ هذه النقوش يعود إلى ما بين سنة ٤٠٠ ، وسنة ٢٠٠ قبل الميلاد، والخط الذي دوت به مشتق كذلك من المسند غير أنه ألطف وأثبت نظاماً، وأكثر رونقاً من الخطين الثمودي والصفوي، ويكتب مستعرضاً من اليمين إلى الشمال .

" ومع أن هذه المجموعة من اللهجات الثلاث: الثمودية، والصفوية، واللحيانية

لم تصل إلينا إلا عن طريق نقوش قليلة الأهمية على كثرتها، ضحلة المادة على تنوعها، امتازت بأمرين، أحدهما: أنها أقرب لهجات العربية البائدة إلى الفصحى،

والآخر: أن الخط الذى دونت به ينبغي أن يعتبر المرحلة الأولى في منظور الخط العربى وانتشاره " ^(١).

والقسم الثانى من العربية الشمالية الباقية، وهى التى تنصرف إليها كلمة العربية عند الإطلاق، وهى لا تزال تستخدم لغة أدب وكتابة وتأليف فى البلاد العربية، وقد نشأت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز ثم انتشرت فى كثير من المناطق التى كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية، ثم تفرعت منها اللهجات التى يتكلم بها فى العصر الحاضر فى البلاد العربية وقد وصلتنا هذه اللغة عن طريق القرآن الكريم، والسنة النبوية، والأدب الجاهلى شعراً ونثراً.

٢ - العربية الجنوبية : ويطلق عليها العلماء اسم اليمنية القديمة، أو

القحطانية، وأحياناً يسمونها باسم بعض لهجاتها الشهيرة فيطلقون عليها اسم الحميرية أو السبئية، وقد وصلت إلينا هذه اللغة عن طريق نقوش كثيرة مدونة على الصخور، والأعمدة، والقبور، والتماثيل، والنقود، وجدران الهياكل، والمذابح، ومعظم هذه النقوش عثر عليه فى بلاد اليمن نفسها، وفى الواحات الواقعة شمالى بلاد الحجاز فى منطقة العلا، وبعضها عثر عليه فى المناطق الشمالية لبلاد كنعان، وفى صعيد مصر - مما تركه تجار اليمن - وفى الحبشة.

وهذه النقوش مكتوبة بخط المسند ^(٢)، وهو خط أبجدى يشتمل على تسعة وعشرين حرفاً صامتاً، والنقوش مدونة بالصوامت دون الحركات.

(١) دراسات فى فقه اللغة - د / صبحى الصالح ص ٥٦ .

(٢) سمي بالمسند ؛ لأن أكثر حروفه تستند إلى ما يشبه الأعمدة ، وهو خط هندسى الشكل ، ويعرف بالخط اليمنى عند العرب .

وأهم اللهجات العربية الجنوبية خمس: المعينية، والسبئية، والحميرية القديمة، والقُتبانية، والحضرية.

أ - اللهجة المعينية : وهى اللهجة المنسوبة إلى المعينيين، الذين أسسوا بجنوبى اليمن أقدم مملكة فى بلاد العرب (١٣٠٠-٦٣٠ ق . م) وكانت حاضرتها القرن، ويسمىها اليونان (كارنا) أو (قارنا)، وأقامت هذه المملكة فى منطقة الجوف الجنوبى شرقى صنعاء.

" ولغة المعينيين كثيرة الشبه باللغة السبئية (لغة حمير) وحروفهما واحدة تقريباً، لكنها تختلف عنها اختلافاً واضحاً فى ضمير المذكر الغائب؛ فإنه فى المعينية السين ، بدل الهاء فى السبئية وسائر اللغات السامية إلا البابلية والحبشية " (١).

وكانت لهم تجارة بين الهند وبلاد العرب، وقوافلهم التجارية تتجه من سواحل المحيط الهندى إلى فلسطين، وأقاموا لهم مستعمرات مهمة تسكنها جاليات منهم على طول الطريق الساحلى المخاضى للبحر الأحمر فى اتجاه فلسطين والبحر المتوسط، وقرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد ذابت فى مملكة سبأ.

ب - اللهجة السبئية : هى اللهجة المنسوبة إلى السبئيين الذين أقاموا مملكتهم على أنقاض المملكة المعينية، واتخذوا من مدينة مأرب عاصمة لمملكتهم، وقد ظلت السبئية سائدة فى بلاد اليمن خلال المدة الطويلة التى قبض فيها السبئيون على زمام الحكم، بل بقيت سيادتها فى أثناء الحكم الحبشى الأول لهذه البلاد بين سنتى ٣٧٥-٤٠٠ بعد الميلاد.

ويذكر العلماء أن دولة سبأ استمرت حتى سنة ١١٥ ق . م حينما انهار سد مأرب بسيل العرم بعد أن كفروا بأنعم الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ [سبأ ١٥ - ١٧].

وبعد انهيار سد مأرب هاجرت قبائل منها إلى الشمال، ولم تكن القبائل المهاجرة في وضع اقتصادي جيد، ولذا تعربت بعربية الشمال.

ج - اللهجة الحميرية القديمة^(١) : وهي تنسب إلى جماعات حمير التي ظلت تنازع السبئيين السلطان مدة طويلة دون أن تقوى على انتزاعه من أيديهم، وقد اشتبكت لهجتهم في صراع مع اللهجة السبئية، ولكنها لم تقو على التغلب عليها أو انتزاع شيء من مناطقها، وظل الحال كذلك حتى طرد الأحباش لأول مرة من بلاد اليمن سنة ٤٠٠ م، وتولى الحكم فيها أسرة حميرية، ومن ذلك الوقت أخذ نجم اللغة الحميرية في البزوغ؛ فاستأثرت بكثير من مظاهر السيادة والنفوذ الأدبي في بلاد اليمن، وقد اتخذت من (ظفار) عاصمة لها.

(١) وصفت بالقديمة تمييزاً لها عن لهجة حمير بعد أن تغلبت العربية على ألسنتهم، وهذه الأخيرة هي التي يعيها معظم مؤرخي العرب حين يتكلمون عن لهجة حمير، ويستثنى من هؤلاء أبو عمرو بن العلاء الذي كان يعنى الحميرية القديمة بقوله : ما لسان حمير بلساننا، ولا لغتهم بلغتنا .
انظر : فقه اللغة - د / علي عبد الواحد وافي ص ٧٧ .

د - اللهجات القُتْبَانِيَّة : وهي تنسب إلى قبائل قُتْبَان التي أنشأت مملكة كبيرة في المناطق المسماة بهذا الاسم، وهي المناطق الساحلية الواقعة شمالي عدن، وكانت عاصمتهم تَمَنَع، ويختلف المؤرخون في تاريخ قيامها، ويذكر أنها وجدت سنة ١٠٠٠ ق.م وانتهت حياتها ما بين سنتي ٤٠٠ ق.م، و ٥٠٠ ق.م، وأنها ذابت أيضاً في مملكة سبأ نتيجة الحروب والمنازعات المستمرة^(١).

هـ - اللهجة الحضرمية : وهي تنسب إلى قبائل حضرموت التي أنشأت حضارة زاهرة ومملكة قوية في المنطقة الجنوبية المسماة بهذا الاسم وكانت حاضرتهم شَبْوَة وظلت مملكتهم هذه تنازع سبأ السلطان مدة غير قصيرة، ولكن كتب النصر في النهاية لسبأ، فأزالت مملكة حضرموت من الوجود.

" وقد عمرت اللهجة الحضرمية أكثر من اللهجة القُتْبَانِيَّة، فأخر النقوش القُتْبَانِيَّة يرجع إلى القرن الأول الميلادي، بينما ظلت الحضرمية حتى القرن الثالث الميلادي على أقل تقدير، وكلتا اللهجتين تشبهان اللهجة المعينية من ناحية استخدام السين، ولكنهما تختلفان عنها من جوانب أخرى " ^(٢).

٣ - **الحبشية السامية**: خرجت موجة سامية من جنوبي الجزيرة العربية، فعبرت البحر الأحمر عن طريق باب المندب إلى ما أطلق عليه بعض الرحالة اليونان اسم (أثيوبيا). ويبدو أن الهجرة تمت حوالي القرن السابع قبل الميلاد، وقد عرف الباحثون أسماء بعض القبائل التي هاجرت، ونقلت لغتها السامية إلى هذه المنطقة

(1) انظر : الحضارات السامية القديمة لموسكاتي ص ١٩٢ ، وفقه اللغة - د / علي عبد الواحد وافي ص ٧٧، والعربية

خصائصها وسماتها - د / عبد الغفار حامد هلال ص ١٥٣ .

(2) علم اللغة العربية - د / محمود فهمي حجازي ص ١٨٦ .

من القارة الأفريقية، وأهم هذه القبائل قبيلة حبشت، وقبيلة الأجعازى، وقد سميت هذه المنطقة باسم (الحبشة) نسبة إلى القبيلة الأولى، بينما سميت اللغة باسم لغة (الجعر) نسبة إلى القبيلة الثانية؛ فأبناء هذه اللغة، وسكان الحبشة يسمون لغتهم القديمة باسم الجعر.

وهناك تسميتان أخريان أقل استخداماً في مجال العلم، وهما تسمية هذه اللغة باسم الحبشية، والأثيوبية، والتسمية الأولى شائعة في الكتب العربية، أما الثانية فمأخوذة من كلمة أثيوبيا التي وصفت بها منطقة البحر الأحمر جنوبي مصر في كتب الرحالة الأوروبيين القدماء، وقد جاءت كلمة أثيوبيا في الكتاب المقدس، فأحبها الأحباش مع تحولهم إلى المسيحية، فأطلقوها على دولتهم باعتبارها تسمية مقدسة^(١).

أما بالنسبة للكتابات الحبشية فقد انقسمت على ثلاثة أقسام^(٢) :

الأول : نقوش كشفت في منطقة يها (jeha) تمثل أقدم نماذج الكتابات الحبشية، وقلمها السبئي القديم الذي كان في عهد ملوك سبأ الذين عرفوا باسم مكرب.

الثاني : كتابات تتمثل في نقوش أقسوم، وقلمها يشبه القلم السبئي المتأخر، وهي متأخرة عن الأولى بنحو ستة قرون أو أكثر.

(1) انظر : علم اللغة العربية ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(2) انظر : تاريخ اللغات السامية - د / إسرائيل ولفنسون ص ٢٥٦ .

الثالث : كتابات الطور الثالث، وهى كتابات جعزية بقلمها ولغتها، وتستعمل فى صلب الحروف شيئاً يشبه الحركات، وهى طريقة غير مألوفة فى اللغات السامية.

وكتابات الطورين الأول والثانى تكتب من اليمين إلى الشمال، كما هو شأن جميع الأقلام السامية، أما الخط الجعزى فإنه يكتب من الشمال إلى اليمين. وقد كتبت لغة الجعز بخط مقطعى يتكون من ١٨٢ رمزاً مكوناً من الصوامت والصوائت؛ فكل صامت مع الحركة التالية له يكون رمزاً مستقلاً، وفيه ستة وعشرون حرفاً من الصوامت يرتبط كل منها بإحدى حركات سبع (فتحة قصيرة - فتحة طويلة - فتحة مماله قصيرة - فتحة مماله طويلة - ضمة طويلة مثل صوت حرف (O) الأجنبى، وأخرى طويلة مثل صوت (U) الألمانية - كسرة طويلة)؛ أى إن الرمز الواحد يمثل فى الخط الجعزى أحد الصوامت الستة والعشرين مع إحدى الحركات السبع؛ لذا يعد هذا الخط من أكثر الخطوط السامية تعقيداً^(١).

الموطن الأصلى للساميين : اختلف العلماء حول الموطن الأصلى للغات السامية وذهبوا مذاهب شتى منها^(٢) :

(١) انظر : فقه اللغة - د / على عبد الواحد وافي ص ٨٨ ، ٨٩ ، وعلم اللغة العربية ص ١٩٢ ، والعربية خصائصها وسماتها ص ١٤٨ .

(٢) انظر : فقه اللغة - د / على عبد الواحد وافي ص ١٠ ، ١١ ، واللهجات العربية الحديثة فى اليمن ص ٥ ، ٦ ، وفصول فى فقه العربية ص ٣٨ - ٤٢ ، والعرب قل الإسلام لجرجى زيدان ص ٤١ ، ٤٢ .

١ - المذهب الأفريقي : ذهب بعض العلماء إلى أن الموطن الأصلي

للساميين كان شمال أفريقيا ومنه نزحوا إلى آسيا عن طريق برزخ السويس، والذي دعاهم إلى هذا - التشابه بين الساميين والهاميين. بيد أن هذا المذهب لم يسلم من النقد؛ إذ كيف اختلفت جميع اللغات السامية من أفريقيا بحيث لم تظهر إلا في المستعمرات الفينيقية على الساحل، وخاصة المستعمرة البونية في قرطاجنة بتونس، ثم مع الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي.

٢ - المذهب الأرمني : ذهب بعض العلماء إلى أن الموطن الأصلي

للساميين كان بلاد أرمينية بالقرب من حدود كردستان، ويرى بعضهم أن هذا الموطن كان المهدي الأول للشعبيين السامي والآري معاً. وهذا الرأي مستمد من سفر التكوين (١٠/٢٢ - ٢٤ ، ١١ / ١٢) الذي يعزو كثيراً من هذه الشعوب إلى أرفكشاد، وهي تقع على حدود أرمينيا وكردستان.

وأقوى ما يوجه إلى هذا الرأي من نقد هو أن مؤلف سفر التكوين لم يستند إلى أدلة علمية يقينية، بل كان يأخذ بقول الرواة القصاصيين، الذين يرون أن سفينة نوح (عليه السلام) رست في مكان قريب من أرفكشاد، وهو رأي خيالي تماماً، كما أنه يتعارض مع رأي آخر في سفر التكوين (١/١١) يرى أن كل الشعوب ومن بينها الساميون انحدروا أصلاً من بابل.

٣ - المذهب البابلي : ذهب إلى هذا الرأي الأستاذ جويدي

(Guidi) ومن تابعه، حيث يرون أن المهد الأصلي للساميين يقع على الجرى الأوسط لنهر دجلة، ومنهم من حدد هذا الموطن بمنطقة جنوبي نهر الفرات، وكان اعتمادهم في ذلك على أدلة جغرافية ونباتية وحيوانية، وكذلك على ورود ألفاظ مشتركة في اللغات السامية لمسميات تنطبق على جغرافية وحيوان ونبات ما بين النهرين.

٤ - المذهب الحبشي : ذهب بعض العلماء إلى أن الموطن الأصلي

للساميين بلاد الحبشة ومنها نزحوا إلى القسم الجنوبي ببلاد العرب عن طريق باب المندب، ومن هذا القسم انتشروا في مختلف أنحاء الجزيرة العربية.

٥ - المذهب الكنعاني : ذهب بعض العلماء إلى أن الموطن الأصلي

للساميين كان بلاد كنعان، ويستدل على ذلك بأن الساميين كانوا منتشرين في البلاد السورية القديمة في أزمنة سحيقة في القدم، وأن مدنياتهم في هذه البلاد لا تعرف نشأتها ولا تعرف قبلها مدنية أخرى.

٦ - المذهب العربي : يرى كثير من العلماء أن الموطن الأصلي

للساميين كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وقد مال إلى هذا الرأي كثير من المستشرقين مثل: رينان، وبروكلمان، وشبرنجر،

ودى غويه، وكايتاني، وموسكاتى، ويستدلون على ذلك بأدلة تكاد تكون قاطعة، من ذلك :

أ - الهجرة فى هذه البلاد كانت تتجه دائماً فى عصور ما قبل التاريخ، والعصور التاريخية من القسم الجنوبي الغربى إلى الشمال والشرق (سوريا والعراق وما يليها).

فمن القسم الجنوبي الغربى نزح الساميون إلى الشمال فتكونت من سلالاتهم الشعوب الكنعانية، ونزحوا كذلك إلى جنوبى العراق وغزوا بلاد السومريين، وغلبوهم على أمرهم وأنشئوا دولة عظيمة هى دولة بابل .. إلخ من الهجرات التى خرجت شمالاً سواء إلى الشمال الشرقى أو الشمال الغربى أو وسط الجزيرة العربية.

ب - منذ فجر التاريخ كانت كل المواطن الأخرى المقترحة مسكونة بشعوب غير سامية ما عدا جزيرة العرب.

ج - جميع سكان بلاد العرب الذين لم يختلطوا بغيرهم من الأجناس البشرية، لهم مميزات الجنس السامى الخلقية والخلقية، ولغتهم على ما يرى المحققون من علماء الساميات أقرب اللغات إلى السامية الأم.

مما سبق رأينا أن العلماء اختلفوا فى الوطن الأصلى للساميين فى عصور ما قبل التاريخ، بيد أنهم يكادون يتفقون على أن الوطن الأصلى للساميين فى العصور التاريخية، هو شبه جزيرة العرب، ومنها انطلقوا إلى بلاد الرافدين وسوريا

وفلسطين، والحبشة وشمالي أفريقيا، ومصر وكونوا الدول والممالك التي عرفناها
قبل ذلك.

obeikandi.com